اليوم الدراسي حول أزمة السيولة النقدية في الجزائر، المنعقد بجامعة ورقلة بتاريخ 13 أفريل 2011 المنظم من طرف مخبر الجامعة، المؤسسة والتنمية المحلية المستدامة (LUEDLD) مداخلة بعنوان: أهمية السيولة النقدية وأهمية القطاع المصرفي للاقتصاد

د/ محمد الجموعي قريشي، جامعة ورقلة، الجزائر

تشهد الجزائر منذ أزيد من ثمانية أشهر (منذ أوت 2010) أزمة سيولة نقدية حادة، وذلك على مستوى البنوك ومكاتب البريد في كثير من المناطق والولايات، وفي هذا الإطار نظم مخبر الجامعة المؤسسة والتنمية المحلية المستدامة، بالتعاون مع قسم العلوم الاقتصادية، كلية الاقتصاد والتجارة وعلوم التسيير بجامعة ورقلة يوما دراسيا حول الموضوع بتاريخ 2011/04/13، فجاءت هذه المداخلة في عجالة بعنوان " أهمية السيولة النقدية وأهمية القطاع المصرفي للاقتصاد " مساهمة في تشخيص وطرح إشكالية اليوم الدراسي والأسئلة العملية التي يفترض الإجابة عنها، وتناولت المداخلة النقاط الآتية:

- 1. أهمية السيولة النقدية بالنسبة للبنك.
- 2. أهمية السيولة النقدية بالنسبة للأفراد والمتعاملين الاقتصاديين.
 - 3. أهمية القطاع المصرفي بالنسبة للاقتصاد والمحتمع.

أهمية السيولة النقدية للبنك

1. مفهوم السيولة النقدية

تعني السيولة في مفهومها المطلق النقدية (cash money)، أما السيولة في معناها الفني فتعني قابلية الأصل للتحويل إلى أصول سائلة لمواجهة الالتزامات المستحقة الأداء حاليا أو في غضون فترة قصيرة. 1

وبعبارة أخرى، السيولة هي قدرة البنك على مقابلة التزاماته بشكل فوري، وذلك من خلال تحويل أي أصل من الأصول إلى نقد سائل وبسرعة وبدون خسارة في القيمة.2

أي أن السيولة مفهوم نسبي يعبر عن العلاقة بين نقدية وأصول سهلة التحويل إلى نقدية (أصول شبه نقدية) وبين التزامات مستحقة مطلوب الوفاء بما.³

فالسيولة تعبر عن قدرة البنك على مواجهة المسحوبات من الودائع ومواجهة سداد الالتزامات المستحقة وكذلك مواجهة الطلب على القروض دون تأخر.⁴

ولتحقيق ذلك الغرض تحتفظ البنوك بحد أدبى من النقدية بخزينة البنك، أو لدى البنك المركزي والبنوك الأحرى أو المراسلة في ما يعرف بأحد أدوات السياسة النقدية.

ويلخص البعض مكونات السيولة في العناصر التالية :5

- أ. السيولة الحاضرة وتتمثل في:
- النقدية بالعملة المحلية والأجنبية،
- الودائع لدى البنك المركزي والبنوك الأخرى،
 - الشيكات تحت التحصيل.

ب. السيولة شبه النقدية وتشمل الأصول التي يمكن تصفيتها (بيعها أو رهنها)، كأذونات الخزانة والكمبيالات المخصومة، والأوراق المالية القصيرة الأجل.

2. إدارة السيولة النقدية في البنك

يعني دور الوساطة المالية للبنك أن يدير التدفقات النقدية الداخلة والتدفقات النقدية الخارجة في ظل ما يعرف بأهداف المحفظة المصرفية للبنك والتي تتمثل في : ⁶ تحقيق أقصى ربحا ممكنا، وعدم الوقوع في أزمة السيولة، وعدم التضحية بكبار المودعين، وبالتالي عدم الوقوع في الإفلاس. إن إدارة السيولة في ظل هذه الأهداف المتناقضة يتطلب مهارة وكفاءة عالية لأن كمية السيولة التي يجب أن يحتفظ بما البنك تعتبر مشكلة أساسية وذلك لأن زيادة السيولة في البنك يفوت عليه فرصة تحقيق أرباح توظيف واستثمار تلك الأموال السائلة، وتعنى من جهة أخرى أن البنك لا يقوم بواجبه بشكل كامل في تحريك وتدعيم متطلبات الاقتصاد الوطني. وبالمقابل فإن النقص في السيولة قد يكون مميتا ليس فقط للبنك بل أيضا للبنوك الأحرى والجهاز المصرفي ككل والتركيب المالي والاقتصادي للدولة ككل (الأزمة المالية العالمية 2008 ليست بعيدة). وفي هذا الحال ليس أمام البنك سوى البحث عن التوازن الأمثل بين الربحية والسيولة في إدارة أصوله وخصومه.

3. الأسئلة العملية

ومن الناحية العملية (التطبيقية) يمكن أن نطرح التساؤلات التالية :

- إلى أي مدى تستند البنوك الجزائرية في إدارة تدفقاتها النقدية الداخلة والخارجة و إدارة أصولها وخصومها إلى مثل هذه المفاهيم والأهداف ؟
- ما هي وضعية البنوك والفروع الأجنبية في بلادنا ؟ هل تعاني هي الأخرى من نقص في السيولة النقدية ؟ و إ ذا كانت كذالك، فما هو وضعها الاقتصادي ؟ وأين مبدأ المنافسة ؟ و مبدأ تكلفة الفرصة البديلة ؟ وهل تستطيع هذه البنوك تعويض زبائنها عن الخسائر الناجمة عن نقص السيولة ؟

أم أنما تحولت إلى بنوك عمومية ؟الخ من الأسئلة الاستفهامية.

أهمية السيولة النقدية للأفراد والمتعاملين الاقتصاديين

1. أهمية السيولة النقدية للأفراد

تكتسي السيولة النقدية أهمية كبيرة بالنسبة للأفراد (أو قطاع العائلات) وذلك لما تتمتع به النقود من خصائص أهمها: أنها وسيلة للتداول وأداة لدفع المعاملات العاجلة، مقياسا للمدفوعات الآجلة ومستودعا للقيمة، كما هو معروف نظريا بأسباب الطلب على النقود.

وتزداد الحاجة والأهمية للسيولة النقدية لدى الأفراد في ظل نقص ومحدودية التعامل بالشيكات بين الأفراد والمؤسسات سواء كانت عامة أو خاصة، ونقص الثقافة والوعي بالتعامل بالأدوات البديلة للسيولة خاصة أدوات الدفع الالكتروني والمتمثلة في البطاقات المصرفية و بطاقة البريد.

2.أهمية السيولة النقدية للمتعاملين الاقتصاديين

لا تقل السيولة النقدية أهمية بالنسبة للمتعاملين الاقتصاديين عنها بالنسبة للأفراد، لأنهم أكثر حاجة للسيولة النقدية من الأفراد لما تتطلبه طبيعة أنشطتهم في المجتمع، فهم الموكلة إليهم مهمة تحقيق وانجاز الأهداف الاقتصادية الكلية للمجتمع على جميع المستويات والقطاعات وفي نفس الوقت هم الفئة الأكثر تعاملا مع البنوك والمؤسسات المالية وهم من يعرف بكبار المودعين الذين يسعى البنك في عدم تضييع العلاقة معهم.

3. الأسئلة العملية

- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من البطاقات البريدية والبطاقات البنكية في التوزيع العادل للسيولة المتوفرة ؟
 - إلى أي مدى يمكن استخدام البطاقات البنكية (مابين البنوك) كوسائل دفع تقلل من الحاجة للسيولة ؟
- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من العلاقة بين المتعاملين الاقتصاديين والبنوك لاسترجاع الثقة والعمل على تخفيف حدة الأزمة الحالية ؟

ااا أهمية القطاع المصرفي بالنسبة للاقتصاد والمجتمع

1. الأهداف النقدية والاقتصادية

يكتسي الجهاز المصرفي في إطار النظام النقدي والمصرفي أهمية كبيرة في أية دولة أو أي اقتصاد، وله دور مهم على المستوى النقدي والاقتصادي، ولكي ينهض بحذا الدور لابد من إصلاحه وإعادة تنظيمه بما يتوافق ومتطلبات كل مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي للدولة، وأي برنامج إصلاحي لابد أن يشمل الأهداف والاستراتيجية.

إن النظام النقدي والمصرفي لابد أن يسهم في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، ومن بين هذه الأهداف على سبيل المثال:7

- العمل على استقرار قيمة النقود حتى تكون واسطة تبادل موثوقة، ومقياسا عادلا للمدفوعات المؤجلة، ومستودعا ثابتا للقيمة.
 - تعبئة المدخرات واستثمارها في التنمية الاقتصادية.
 - محاربة البطالة والعمل على تحقيق التشغيل الكامل.
 - العمل على تحقيق معدلات نمو مقبولة (مثلي).
 - العمل على تحقيق مستوى من الرفاه الاقتصادي لأفراد المجتمع.

ولا تتأتى وتحقيق هذه الأهداف إلا إذا كان القطاع المصرفي والمالي يتصف بخصائص ومزايا يتصف بما الجهاز الدوري للإنسان وهي المقاربة النظرية التي تحتاج إلى توقف وتمعن.

2. مقاربة الجهاز المصرفي بالجهاز الدوري للإنسان

لا تخفى أهمية ودور الجهاز الدوري (الدموي) لجسم الانسان، فهو الجهاز الذي يتحكم ويسيطر على حركة المادة الحيوية والضرورية للحسم ألا وهي "الدم" وأهم مزايا هذا الجهاز:

- التمدد والتوسع ليشمل كافة أعضاء الجسم بل أدبى خلية في الجسم.
 - المرونة والسرعة في حركة نقل المادة الحيوية.
- وجود مركز تحكم أساسي و**وحيه** وهو القلب الذي يشرف على عملية توزيع الدم لكل عضو وبما يكفيه.
 - وجود أوردة وشرايينالخ من الخصائص التي يتميز بما الجهاز الدوري للانسان.

وبمطابقة الجهاز المصرفي بالجهاز الدوري نظريا يمكننا ملاحظة مطابقة شبه كاملة للجهازين، فالمادة الحيوية "الدم" تقابلها السيولة النقدية، ومركز التحكم "القلب" يقابله البنك المركزي، والأوردة والشرايين تقابلها المؤسسات المصرفية والمالية وأدواتها، والنتيجة العامة للمقاربة هي:

"إن توفر جهاز دوري سليم للإنسان يمنحه جسما قويا معافى من الأمراض، ووجود جهاز مصرفي كفء ينتج اقتصادا قويا قادرا على التطور والنمو " ⁸

وقد تبدو المقاربة بسيطة أو حتى ساذجة ومستحيلة التطبيق عمليا، ولكنها حقيقية يجب التوقف عليها والتمعن فيها إذا ما أردنا أن يكون لنا كيان " دولة "، بالمعنى الحقيقي للدولة بعيدا عن الفوضى واللانظام، حيث تختلط الأدوار والصلاحيات بين الأجهزة ويسود اللاعدل واللامساواة سواء بين المناطق أو بين الأفراد أو بين القطاعاتإلخ.

فالفرد أو المواطن في الدولة هو بمثابة الخلية في الجسم يجب أن تتوفر له الظروف المناسبة وأولها المادة الحيوية للقيام بدوره في هذا المجتمع أو هذه الدولة.

3. الأسئلة العملية

وبإسقاط هذه المقاربة على موضوع أزمة السيولة النقدية في الجزائر الذي نحن بصدد مناقشته في يومنا الدراسي هذا يمكن أن نطرح الأسئلة التالية :

- هل أزمة السيولة النقدية في الجزائر أزمة ظرفية عابرة ؟ أم أنها أزمة هيكلية (بنيوية) تراكمت بفعل الأزمات المتتالية ؟
- ألا زال الجهاز المصرفي الجزائري يشهد رغم الإصلاحات- عملية جراحية لقلب مفتوح منذ أزمة بنك الخليفة إلى يومنا هذا؟
 - 9 ! لا يشكل حجم الاقتصاد الموازي رقما مخيفا يهدد الاقتصاد الرسمى 9
 - 10 ? ما هي السياسة الاقتصادية للدولة للحد من أثر الاقتصاد الموازي على الاقتصاد الرسمى

وغيرها العديد من الأسئلة العملية التي تستدعي البحث والإجابة مما يجنب الاقتصاد الجزائري الكثير من الإشكاليات.

المراجع والإحالات

- 1. عبد المطلب عبد الحميد، البنوك الشاملة عملياتها وإدارتها، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 230.
- 2. عبد الغفار حنفي عبد السلام أبو قحف، الإدارة الحديثة في البنوك التجارية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص: 94.
 - 3. عبد الحميد عبد المطلب، نفس المرجع السابق، ص: 231.
 - 4. عبد الحميد عبد المطلب، نفس المرجع السابق، ص: 231.
 - 5. عبد الحميد عبد المطلب، نفس المرجع السابق، ص 229.
- أدوات الاستثمار في أسواق رأس المال: الأوراق المالية وصناديق الاستثمار، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، عمان الأردن، 1993.
 إبراهيم هندي، أدوات الاستثمار في أسواق رأس المال: الأوراق المالية وصناديق الاستثمار، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، عمان الأردن، 1993.
 - 7. محمد عمر شبرا نحو نظام نقدي عادل، دار البشير، الطبعة الثانية، عمان الأردن 1990، ص 45- 46.
- 8. محمد الجموعي قريشي، قياس الكفاءة الاقتصادية في المؤسسات المصرفية، دراسة نظرية وميدانية للبنوك الجزائرية خلال الفترة 1994-2003، رسالة دكتوراه،
 جامعة الجزائر، 2006-2007، ص: ي.
 - 9. بشير مصيطفي، تحرير التجارة وتحفيز الاستثمار للتقليل من الاقتصاد الموازي، مجلة الأبحاث الاقتصادية، العدد 30 ، مارس 2011، ص 34.
 - 10. برنامج مشترك لـ " التجارة " و " الداخلية " لمعالجة السوق الموازية، مجلة الأبحاث الاقتصادية، العدد30 ، مارس2011 ، ص 28.